

الآخر الفارسي في الشعر الجاهلي The Persian Other in Pre-Islamic Poetry

سحر عبد اللاوي¹، سعد حمادة²، ثريا برجوح³

¹ مخبر التّكامل المعرفي بين علوم اللّغة العربية وآدابها والعلوم الاجتماعية-جامعة الوادي(الجزائر)،

abdellaoui-sahar@univ-eloued.dz

² جامعة الوادي(الجزائر)، Saad-hamada@univ-eloued.dz

² جامعة الوادي (الجزائر)، berdjouh-thoraia@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2024/12/15 تاريخ القبول: 2025/09/07 تاريخ النشر: 2025/11/01

Abstract:

Pre-Islamic poetry serves as a historical record of Arabs and neighboring nations. This research highlights the relations between Arabs and Persians before Islam. It shows that pre-Islamic poets did not limit themselves to documenting Arab events but also recorded the history of neighboring nations, especially the Persians, due to their mutual relations. It indicates that these cultural exchanges influenced ancient Arabic literature, prompting poets to reflect these mutual impacts. The study aims to demonstrate how Arab culture was influenced by the Persians through their presence in pre-Islamic poetry, battles, and kings. The Arabs' use and admiration of Persian weapons, utensils, musical instruments, clothing, and jewelry are clear signs of this cultural influence.

Keywords: pre-Islamic poetry, the other, Persian, culture, influence.

المخلص:

يعد الشعر الجاهلي سجلا تاريخيا للعرب والأمم المجاورة، حيث يسلط هذا البحث الضوء على العلاقات بين العرب والفرس قبل الإسلام. ويظهر أن الشعراء الجاهليين لم يقتصرُوا على توثيق أحداث العرب فحسب، بل تجاوزوا ذلك إلى توثيق تاريخ الأمم المجاورة خاصة الفرس نظراً للعلاقات القائمة بينهما. كما يُشير إلى أن هذه العلاقات والتبادل الثقافي بين العرب والفرس انعكست على الأدب العربي القديم ودفعت الشعراء إلى إثبات هذه التأثيرات المتبادلة. حيث يهدف هذا البحث إلى بيان مدى تأثر العرب بالثقافة الفارسية من خلال حضور الآخر الفارسي في القصائد الجاهلية عبر تاريخه ومعاركه وملوكه، بالإضافة إلى استخدام العرب للأسلحة الفارسية وإعجابهم بها. كما يعد حضور الأواني والآلات الموسيقية الفارسية في الشعر الجاهلي مظهراً للتأثر الثقافي، فضلاً عن استخدام العرب لأصناف من الملابس والحلي الفارسية التي تعكس تأثرهم بهذه الحضارة.

الكلمات المفتاحية: شعر جاهلي، آخر، فرس، ثقافة، تأثير.

المؤلف المرسل: سحر عبد اللاوي، الإيميل: abdellaoui-sahar@univ-eloued.dz

1. مقدمة:

يرتبط العرب والفرس بتاريخ مشترك تعكسه المآثر والآثار والأخبار، ذلك أن جذورهم امتدت ضاربة في أغوار التاريخ متناقلةً عبر الأمصار والأقطار، وقد جرت علاقات بين العرب والفرس دونتها كتب السير والتاريخ والأخبار، وذلك لعدة اعتبارات لعل أهمها الاحتكاك والاتصال الذي جرى بين العربي والآخر الفارسي من خلال عدة طرق منها السياسية والحربية والتجارية والصلات الدينية أو من خلال الاتصال بالقيان الجاهلية، وكان لهذا الاتصال صدًى في الشّعر الجاهلي باعتباره مرآة عاكسة لحياة العربي الجاهلي بمختلف مظاهرها الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية فهو ديوان العرب، ولحضور الآخر الفارسي في القصيدة الجاهلية أثرجلي وتأثير قوي على شعراء الجاهلية، فإذا كان هناك علاقات قائمة بين العرب والفرس فما مدى انعكاس الحضارة الفارسية في الشّعر الجاهلي؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية وتحقيق أهداف البحث المتمثلة في إظهار مكونات الثقافة الفارسية التي انعكست على الشّعر الجاهلي، تم الاعتماد على المنهج التاريخي لرصد العلاقات وتحديد متعلقاتها، بالإضافة إلى المنهج الوصفي في معالجة وتحليل القصائد الجاهلية.

والعناصر التي سيتم تسليط الضوء عليها في هذا البحث هي تاريخ الفرس بما يحويه من معارك، والثقافة الفارسية ومتعلقاتها.

2. تاريخ الفرس في الشّعر الجاهلي:

التاريخ فن، كما ذكر ابن خلدون فضله قائلاً: "اعلم أنّ فنَّ التاريخ فنٌّ عزيزُ المذهب، جُمُ الفوائد، شريفُ الغاية؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياساتهم؛ حتّى نَتِمَّ فائدة الاقتداء في ذلك" (خالد بن جمعة، 2009، 91)، إذن فالتاريخ يعمل على حفظ تاريخ الأمم وتراثها من الاندثار، كما يُسهم في معرفة أحوال الأمم السابقة وملوكها وأبطالها، ومن المصادر التي اعتمدها المؤرخون في تدوين التاريخ الشّعر الجاهلي باعتباره مصدراً خصباً ومنبعاً ثرياً بما حواه من وقائع وأحداث ذاع صيتها عبر العصور، وجابت شهرتها الآفاق، حيث لم يكتفِ الشاعر الجاهلي برصد أيام العرب ومآثرها ومفاخرها وبطولاتها بل تجاوزها بذكر وقائع الأمم المجاورة، ومن الأمم التي حظيت بتسجيل تاريخها وملوكها ومعاركها في القصيدة الجاهلية

الحضارة الفارسية، ذلك أنه "لا يستطيع أحد أن ينكر صلة العرب بالفرس قبل الإسلام، وقد تحدثت عنها كتب التاريخ والأدب، وكان من الطبيعي أن تؤثر هذه الصلة في الأدب، وأن تؤثر كذلك في لغة العرب، وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق. وقد كانت هذه الصلة سبباً في اتصال بعض الشعراء والأدباء بالفرس بطريق مباشرة أو غير مباشرة..." (علي الجندي، 1991، 231)

1.2. ملوك الفرس ومعاركهم:

نظراً لاحتكاك الشعراء العرب بالآخر الفارسي وبكونه حالة حضارية "وقد أثبت التاريخ اتصال بعض أدباء العرب الجاهليين بالفرس كالأعشى وعدي بن زيد ولقيط الإيادي، فكان من الطبيعي حينئذ أن نجد لهم آثاراً أدبية تتصل بهم" (علي الجندي، 1991، 231)، ويعد يوم ذي قار من الأيام الدائرة بين العرب والفرس إذ كانت الغلبة فيه لبكر و"يوم ذي قار هو يوم ذي الحنو، ويوم قراقر، ويوم الجبايات، ويوم ذات العجرم، ويوم بطحاء ذي قار، وكلهن حول ذي قار، وقد ذكرتهن الشعراء" (ابن عبد ربه، ب ت، 111)، وانتصر فيه العرب على الفرس انتصاراً عظيماً سجله الشعراء في قصائدهم متفاخرين بهذه الواقعة، ومما أورده الشاعر الأعشى في معرض حديثه عن هذا اليوم منتشياً بالنصر المحقق قوله: (ميمون بن قيس، 2012)

وَجُنْدُ كِسْرَى غَدَاةَ الْجَنُودِ صَبَحَهُمْ	مِنَّا كَتَائِبُ تُرْجِي الْمَوْتَ فَانْصَرَفُوا
لَمَّا أَتَوْنَا كَأَنَّ اللَّيْلَ يَقْدُمُهُمْ	مُطِيقِي الْأَرْضِ يَعْشَاهَا بِهِمْ سَدَفُ
جَحَاجِحُ وَيَوْمَ مُلْكٍ عَطَارِفَةٌ	مِنَ الْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهِمُ النَّطْفُ
وَحَيْلُ بَكْرِ فَمَا تَنْفَكُ تَطْحَنُهُمْ	حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَوَادَ الْيَوْمِ يَنْتَصِفُ
لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارِكَنَا	فِي يَوْمِ ذِي قَارَ مَا أَخْطَاهُمُ الشَّرَفُ

يصور الأعشى في هذه الأبيات جيش الفرس في إقبالهم لمعركة يوم الحنو متقدمين خلف قادتهم في حلتهم مرتدين اللؤلؤ في آذانهم، ليجدوا في مواجهتهم كتائب بكر تطحنهم طحناً محققة نصرا ظل يتفاخر به القاصي والداني من القبائل العربية. ويواصل الأعشى في عجب وتيه وزهو تصوير هزيمة الفرس في هذا اليوم الخالد، فقد نال العرب منهم كل منال وأذاقوهم كأس المنية المرير، وانقضوا عليهم بفرسانهم مثل انقضاض العُقاب على فريسته فكفوا غلواء جيش الفرس وردوهم صاغرين وعلى رأسهم الهامرز قائد جيوش كسرى: (ميمون بن قيس، 2012)

كَفُّوا إِذْ أَتَى الْهَامِرُزُ تَخْفُفَهُ كَطَلِ الْعُقَابِ إِذْ هَوَتْ فَتَدَلَّتِ
أَذَاقُوهُمْ كَأْساً مِنْ الْمَوْتِ مُرَّةً وَقَدْ بَذِخَتْ فُرْسَانُهُمْ وَأَدَلَّتِ
فَصَبَّحَهُمْ بِالْحَمْرِ جُنُودُ قَرَّاقِرٍ وَذِي قَارِهَا مِنْهَا الْجُنُودُ فَقَلَّتِ
عَلَى كُلِّ مَحْبُوكِ السَّرَّاءِ كَأَنَّهُ عُقَابٌ هَوَتْ مِنْ مَرْقَبٍ إِذْ تَعَلَّتِ
فَجَادَتْ عَلَى الْهَامِرِزِ وَسَطَ يُيُوتِهِمْ شَايِبُ مَوْتٍ أَسْبَلَتْ وَاسْتَهَلَّتِ

يعد يوم ذي قار من أيام العرب التي خلدها الشعراء في قصائدهم منتشين بالنصر المحقق ضد الفرس وقد اتخذها الأعشى مادة ثرة لقصائده ذلك أن "لهذه المعركة أهمية عظيمة من حيث مظاهرها القومية، فقد جرؤ العرب لأول مرة في التاريخ على لقاء الفرس في معركة سافرة، فقيوت معنوياتهم. ومع أن عدداً من القبائل العربية كانت في جانب الفرس، غير أن شعورهم كان مع العرب، وقد دل على ذلك خذلان بني إياد للجيش الفارسي في اللحظة الحاسمة من المعركة، وتضامن بني سكون وبعض بني تميم مع بكر وشيبان." (توفيق، 2001، 228)

ومن أيام العرب التي كانت المواجهة فيها بين قبائل بني تميم والآخر الفارسي يوم الصفقة؛ وسبب هذه المعركة أن بني تميم نهبوا بغير كسرى المتجه إلى اليمن فحرض هوذة بن علي الحنفي كسرى للقضاء عليهم لئلا قديم بينه وبينهم فحبس كسرى على بني تميم المعونة في سنة مجلبة، ثم أرسل هوذة ومعه المعونة وألف من الأساورة بقيادة رجل اسمه المكعبير "وَكَانَ هُوَذَةُ نَصْرَانِيًّا، وَأَمَرَهُ كِسْرَى أَنْ يَغْزُوهُ وَهُوَ وَالْمُكْعَبِيرُ مَعَ عَسَاكِرِ كِسْرَى

بَنِي تَمِيمٍ، فَسَارُوا إِلَى هَجَرَ وَنَزَلُوا بِالْمُشَقَّرِ. وَخَافَ الْمُكَعْبِرُ وَهُودَهُ أَنْ يَدْخُلَا بِلَادَ تَمِيمٍ لِأَنَّهَا لَا تَحْتَمِلُهَا الْعَجَمُ وَأَهْلُهَا بِهَا مُمْتَنِعُونَ، فَبَعَثَا رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْمِيرَةِ، وَكَانَتْ شَدِيدَةً، فَأَقْبَلُوا عَلَى كُلِّ صَعْبٍ وَذُلُولٍ، فَجَعَلَ الْمُكَعْبِرُ يُدْخِلُهُمُ الْحِصْنَ خَمْسَةَ خَمْسَةٍ وَعَشْرَةَ عَشْرَةَ وَأَقْلَّ وَأَكْثَرَ، يُدْخِلُهُمْ مِنْ بَابٍ عَلَى أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ آخَرٍ، فَكُلُّ مَنْ دَخَلَ ضُرِبَ عُقْفُهُ. فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمْ وَرَأَوْا أَنَّ النَّاسَ يَدْخُلُونَ وَلَا يَخْرُجُونَ بَعَثُوا رَجُلًا يَسْتَعْلِمُونَ الْخَبَرَ، فَشَدَّ رَجُلٌ مِنْ عَبَسٍ فَضْرَبَ السُّلْسِلَةَ فَقَطَعَهَا وَخَرَجَ مَنْ كَانَ بِالنَّابِ. فَأَمَرَ الْمُكَعْبِرُ بِغَلْقِ النَّابِ وَقَتْلِ كُلِّ مَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ يَوْمَ الْفُصْحِ، فَاسْتَوْهَبَ هُوْدَةُ مِنْهُ مِائَةَ رَجُلٍ فَكَسَاهُمْ وَأَطْلَقَهُمْ يَوْمَ الْفُصْحِ" (ابن الأثير، 1997، 555)، وسمي بيوم الصفقة لأن كسرى أصفق الباب على بني تميم في حصن المشقر وسمي أيضا بيوم المشقر، وفي هذا اليوم يقول الأعشى: (ميمون بن قيس، 2012)

سَائِلُ تَمِيمٍ بِهِ أَيَّامَ صَفَقَتِهِمْ	لَمَّا رَأَاهُمْ أَسَارَى كُلَّهُمْ ضَرَعَا
وَسَطَ الْمَشَقَّرِ فِي غَيْطَاءٍ مُظْلِمَةٍ	لَا يَسْتَطِيعُونَ فِيهَا ثُمَّ مُمْتَنِعَا
بِظُلْمِهِمْ يَنْطَاعُ الْمَلِكِ ضَاحِيَةً	فَقَدْ حَسَوْا بَعْدَ مِنْ أَنْفَاسِهِمْ جُرْعَا
أَصَابَهُمْ مِنْ عِقَابِ الْمَلِكِ طَائِفَةٌ	كُلُّ تَمِيمٍ بِمَا فِي نَفْسِهِ جُدِعَا

فالأعشى يشير إلى أن ما فعله كسرى ببني تميم كان عقابا لهم لاعتدائهم ظلما لقاقلته.

لم يكتفِ الأعشى بذكر الفرس في ثانيا قصائده في الحرب والصراعات التي خاضها العربي ضد نظيره الفارسي بل تجاوز ذلك بذكرهم حتى في السلم، فيذكر ملوكهم وقادتهم في معرض حديثه عن حتمية الموت والفناء وعدم دوام الدنيا لهم رغم ما ظفروا به من جاه وسلطان فيقول: (ميمون بن قيس، 2012)

فَمَا أَنْتَ إِلَّا دَامَتْ عَلَيْكَ بِخَالِدٍ	كَمَا لَمْ يُخْلَدْ قَبْلُ سَاسَا وَمُورِقُ
وَكِسْرَى شَهْنَشَاهُ الَّذِي سَارَ مُلْكُهُ	لَهُ مَا اشْتَهَى رَاحَ غَيْثُ وَرَبُّهُ

فالأعشى يذكر كسرى وشهنشاه وهو ملك ملوك الفرس، وساسان ملك الفرس على أنّ الحياة لو دامت لأحد لدامت لهم.

ومن الشعراء الجاهليين الذين ذكروا ملوك الفرس الشاعر أمية بن أبي الصلت؛ إذ يصف قوتهم وشدة بأسهم ويشبه ثباتهم بالجبال معبرا عن شدة إعجابه وانبهاره بهم فحسبه ليس لهم مثيل على الأرض فيقول: (أمية بن أبي الصلت، 1998، 177)

حَتَّى أَتَى بِنِي الْأَحْزَارِ يَحْمِلُهُمْ تَخَالَهُمْ فَوْقَ مَتْنِ الْأَرْضِ أَجْبَالًا
مَنْ مِثْلُ كِسْرَى شَهْنَشَاهِ الْمُلُوكِ لَهُ أَوْ مِثْلُ وَهْرَزَ يَوْمَ الْجَيْشِ إِذْ صَالَا
لِلَّهِ دَرُهُمْ مِنْ عُصْبَةٍ خَرَجُوا مَا إِنْ تَرَى لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالَا

بنو الأحرار هنا هم الفرس، فالعرب لقبت الفرس به وكثيرا ما مدحتهم بهذا اللقب، ويواصل أمية ذكر الفرس في قصائده مادحا لهم فيقول: (الجندي، 1991، 192)

لِلَّهِ دَرُهُمْ مِنْ عُصْبَةٍ خَرَجُوا مَا إِنْ تَرَى لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالَا
بِيضًا مَرَايَةَ غُرًّا جَحَاجِحَةً أَسَدًا تَرِبَ فِي الْغِيضَاتِ أَشْبَالَا
لَا يَرْضَوْنَ إِذَا حَرَّتْ مَغَا فَرَهُمْ وَلَا تَرَى مِنْهُمْ فِي الطَّعْنِ مِيَالَا
مَنْ مِثْلُ كِسْرَى وَسَابُورِ الْجُنُودِ لَهُ أَوْ مِثْلُ وَهْرَزَ يَوْمَ الْجَيْشِ إِذْ صَالَا
فَاشْرَبَ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجَ مَرْتَفَعًا فِي رَأْسِ غَمْدَانِ دَارَا مِنْكَ مَحَلَالَا

فأين للناس ملوكاً وأبطالاً مثل هؤلاء؛ كسرى ملك الفرس وسابور، وهرز وهو الذي أرسله كسرى أنوشروان مع سيف بن ذي يزن، وملكه على اليمن لقتال الحبشة وإخراجهم، فأمية يمدح ملوكهم ويثني بشجاعتهم ونقاء أعراضهم وشيمهم مما يعيبها، وصبرهم وجلدهم في الحرب رغم حرارة القتال والحديد.

إلى جانب أمية بن أبي الصلت نجد الشاعر الجاهلي إسحاق بن سويد العدوي يفتخر على اليمن من قحطان بالفرس وأن نسبهم يرجع إلى إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام "وقال المسعودي: والفرس تعتقد أنها من ولد إبراهيم الخليل، عليه السلام، وقد كانت أسلافهم تقصد البيت الحرام وتطوف به تعظيما لجدها إبراهيم وتمسكا بهديه وحفظا لأنسابها، وكان آخر من حجّ منهم ساسان بن بابك" (ياقوت، 1995، 148)، وفيما ذكر يقول إسحاق بن سويد العدوي: (أبو عبيد، 1992، 280)

إِذَا غَرَّتْ قُطَانُ يَوْمَا بِسُودَد أَتَى غُرْنَا أَعْلَى عَلِيَا وَأَسُودَا
مَلِكُنَاهُمْ طَرَا بِإِسْحَاقَ عَمَّنَا وَصَارُوا لَنَا عَوْنًا عَلَى الدَّهْرِ أَعْبَدَا

فإن كان منهم تتبع وابن تتبع
فأملأهم كأنوا لأملأنا يدا
يتضح الحضور الجلي للآخر الفارسي في القصائد الجاهلية بملوكه وتاريخه الذي
كان حافلاً بمعارك وحروب سواء كانت مع العرب أو باقي الشعوب والحضارات المجاورة.
2.2. الأسلحة الفارسية:

كما ذكر الشعراء الجاهليون ملوك الفرس ومعاركهم فقد أسهبوا في وصف أسلحتهم
معجبين منبهرين بهذا المظهر الحضاري المادي، فمن المعلوم أن الحضارة الفارسية قد
تفوقت في هذا المجال وأنجزت فيه منجزات حضارية متفوقة في الجانب المادي والعسكري،
فكان لدى الحضارة الفارسية مجموعة متنوعة من الأسلحة والدروع وصفها العديد من شعراء
الجاهلية بين ثنايا قصائدهم على غرار امرؤ القيس مهلهل بن ربيعة:
سيبكي كليباً كل عاق وعامل
وخطية سمر وخيل عوايس
وتبكيه بيض للحدود لواطم
وما ذية مما اقتنتهن فارس

ذلك "أن أصعب الدروع دروع الروم وهي كذلك إلى اليوم، وجعل على أهل بابل
وعمان والبحرين ألف درع، وكان أهل اليمن ألف درع. وأحسن السيوف اليمانية والدروع
الفارسية، وكان بلاس ملك فارس يرسل بما عملت فارس من الدروع مع إتاوة إلى تتبع شمر
يرعرش" (عبد الملك، 1347 هـ، 215)، كذلك وصف دريد بن الصمة الدروع الفارسية
قائلاً: (أبو زيد، 1963، 467)

نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ
وَرَهْطِ بَنِي السَّوْدَاءِ، وَالْقَوْمِ شُهَدَى
فَقُلْتُ لَهُمْ: طُتُّوا بِالْفَسِي مُدَجِّجٍ
سَرَائِهِمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرَدِ

كما ينسب الشاعر عباس بن مرداس الدروع إلى الفرس وكونهم مُتدَرِّعون
بها: (الأحفش، 1999، 738)
ولكنهم في الفارسي فما ترى
من القوم إلا في المضاعف لابسا

بالإضافة إلى الدروع الفارسية يوجد من الشعراء الجاهليين من وصف السيوف
الفارسية وشدة حدتها يقول علقمة بن العبد:
وقد أقطع الخرق المخوف به الردى
بعنس كجفن الفارسي المسرد

مما سبق ذكره يتضح أن العرب في العصر الجاهلي قد استعملوا الأسلحة الفارسية وأعجبوا بها، ويتجلى هذا في قصائد الشعراء الجاهليين الذين أعربوا عن هذا الإعجاب بالتفوق الحضاري للفرس، ويعد مظهراً من مظاهر تأثر العربي بالآخر الفارسي في العصر الجاهلي.

3. ثقافة الفرس في الشعر الجاهلي:

تعد الثقافة أحد أهم الركائز التي تقام عليها المجتمعات وتتميز بها كل حضارة عن غيرها، ولقد كان العصر الجاهلي منفثاً إلى حد ما على الحضارات المجاورة فاحتك العربي الجاهلي بغيره من الأمم، هذا الاحتكاك والاتصال بين أمة وأخرى أعقب عنه آثاراً شتى على مختلف المستويات؛ العادات والتقاليد، اللغة، الأدب، العقائد، وباعتبار مكانة الشعر السامقة لدى العربي الجاهلي فقد عبر به عن خبراته وتجاربه فضلاً عن جميع المشاعر التي خالجت فؤاده، فتجلت ملامح هذا التأثير والتأثر في القصيدة الجاهلية.

1.3. الأواني والآلات الموسيقية الفارسية:

في الشعر الجاهلي أدلة واضحة أشارت إلى عمق التثاقف بين العرب والحضارة الفارسية، إذ وردت أسماء وألفاظ فارسية تدل على مظاهر الحضارة المادية في الشعر الجاهلي منها أواني شرب الخمر والآلات الموسيقية التي اشتهر بها الفرس؛ إذ تعد الموسيقى سمة مميزة للثقافة الفارسية باعتبارها رمزاً لهذه الحضارة التي امتدت لقرون، "ولهم فنون من الإبداع في وصف الخمر ومجالسها ونداماها وسقاتها وأثرها في النفس، يهمنها منه قول الأسود بن يعفر النهشلي إن الخمر كان يسعى بها غلام مقرط مُنطق، وإنهم كانوا يشترونها بدرهم فارسية (أحمد محمد، د ت، 77)

ولقد لهُوت - وللشباب لذاذه بسلافة مزجت بماء عَوادي

من خمر ذي نطفٍ أَعَنَ مُنطق وافي بها لـدراهم الإسجاد

يسعى بها ذو ثومتين مشعر فنأت أنامله من الفرساد"

وقد ذكر الأعشى في قصائده أواني شرب الخمر من أصل فارسي: (مرتضى،

(2001، 79)

وإذا لنا تامورة مرفوعة لشرايها

والتامورة تشير إلى وعاء شرب الخمر " التأمور: (الحقّة) يُجعل فيها الخمر" (مرتضى، 2001، 79)، كما ذكر الطهر جارة وهي كلمة معربة من أصل فارسي وتعني "الطهرجارة: الفنجال أي شبه كأس أو طاس يشرب به":
ولقد شربت الراح اسـ قى من إناء الطهرجارة

بالإضافة إلى ذكر أواني الخمر فلقد تغنى العديد من الشعراء بمجالس اللهو والغناء، ووصف جمال الأزهار والنباتات التي تحفها، فيقول الأعشى: (عبد الله، 1996، 221)

لنا جلسان عندهم وينفسج ويسينبر والمرزجوشمنا
وآس وخيري ومرووسوسن إذا كان هتزن ورحت مخشا
وشاهسفرم والياسمين ونرجس يصبحنا في كل دجن تغيما
ومستق بينين وعود وبربط يجاوبه صبح إذا ماترغنا

فكل من الجلسان والبنفسج واليسينبر والمرزجوش أسماء لأنواع من الورود والرياحين الفارسية وقد جرى ذكرها عند العرب في قصائدهم إذ أن "السيسنبر: الريحانة التي يقال لها النّمام؛ سُمِّيَتْ نَمَامًا لِطُيُوعِ رِيحِهَا، نَمَتْ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهَا وَمَنْ تَلَبَّسَ بِهَا، قَالَ: وَقَدْ جَرَى السَّيْسَنْبَرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ" (الصغاني، 1970، 19) وهو نبت "الذي يسمّى السَّيْسَنْبَرُ بِالْفَارْسِيَّةِ". (أبي دريد، 1991، 44)، بالإضافة إلى الشاه سفرم "بالفارسية، ومعناه ملك الرياحين" (النويري، 1423 هـ، 249)

وعند ذكر مجالس اللهو والطرب لابد من حضور الآلات الموسيقية الوترية التي حفلت بها هذه المجالس، فيقول الأعشى: (القاضي عياض، 2018، 212)
وَمُسِمِعَتَانِ وَصَّاجَةٌ تَقْلِبُ بِالْكَفِّ أَوْتَارَهَا
وَيَرْطُنَا مُعْمَلٌ دَائِمٌ فَقَدْ كَانَ يَغْلِبُ إِشْكَارَهَا

والبربط آلة موسيقية وترية عند الفرس "البربطُ مِثَالُ جَعْفَرٍ مِنْ مَلَاهِي الْعَجَمِ وَلِهَذَا قِيلَ مُعَرَّبٌ وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ وَغَيْرُهُ وَالْعَرَبُ تُسَمِّيهِ الْمَرْهَرَّ وَالْعُودَ". (الفيومي، 2009، 41)
يعد حضور الأواني والآلات الموسيقية الفارسية أحد أهم مظاهر التأثير الثقافي بالحضارة الفارسية، إذ يعرب عن مدى قوة هذا الاحتكاك بين العربي الجاهلي والآخر

الفارسي في مختلف مظاهر الحياة والذي انعكس بصورة جلية في القصيدة الجاهلية باعتبار الأدب مرآة عاكسة لحياة وبيئة الشاعر.

2- الملابس والحلي الفارسية:

تأثر العرب في العصر الجاهلي بالمظاهر الحضارية للأمم المجاورة، وخاصة الحضارة الفارسية التي تميزت في جانب الملابس والحلي بأصنافه المختلفة، لهذا كثرت الألفاظ الفارسية المعربة في الشعر الجاهلي، حيث "يتضح أن الشعر الجاهلي يتضمن الكثير عن العرب في ذلك العصر، فسجل حياتهم وبيئتهم وظروفهم وأحوالهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مما يجعلنا نؤمن بأنه يمكن الاعتماد عليه في تصوير الحياة العربية في العصر الجاهلي" (الجندي، 1999، 444)، هذا ما يؤكد وجود هذا الملمح الحضاري المادي في البنيات العربية في العصر الجاهلي، "وهؤلاء العرب الذين عاشوا في نطاق المحيط الثقافي لإحدى الحضارات العظمى قد تأثروا في الواقع بأزياء هذه الحضارات، فالملابس هي مظهر من مظاهر الثقافة وليس فقط الفنون والآداب والعمارة" (هوتساما، 1998، 8715)، إذن فقد كانت الملابس في العصر الجاهلي تعكس تقاليد وثقافة العرب في تلك الحقبة الزمنية، وتعكس أيضا طابع البيئة الصحراوية التي يعيشون فيها، حيث تتألف الملابس في هذا العصر من الثياب الفضفاضة والبسيطة التي تساعد على تحمل الظروف المناخية القاسية في الصحراء، وكانت تُصنع من المواد الطبيعية مثل الصوف والحرير والجلود، حيث ورد في الشعر الجاهلي ملابس وأردية ذكرت بأسماء البلدان أو ربما تنسب إلى مواضع ومدن، ربما كانت تصنع فيها، فنسبت إليها، ومنها بعض الملابس الفارسية كالديابوذ وهو "توبٌ يُنسَج بنيرين، كأنه جمع ديبوذ على قيعول". قال أبو عبيد: أصله بالفارسية دوبوذ. (الجوهري، 1987، 1447)، وقد ذكر الأعشى هذا النوع من اللباس عندما كان يصف ثورا وحشيا: (ميمون بن قيس، 2012، 345)

عليه ديابوذ تسربل تحته
أرندج إسكافٍ يخالط عظمًا

"واليرندج بفتح الياء والراء وسكون النون وفتح الدال: كلمة فارسية معربة، وأصلها في الفارسية: رنده، ومعناها في الفارسية: الجلد الأسود" (رجب، 2002، 537)، وقد استعملها شعراء العرب قديما "مرة بالياء: اليرندج، ومرة أخرى بالهمزة الأرندج، وهي تعني في العربية:

نوع من الثياب يتخذ من الجلد الأسود". (رجب، 2002، 537) وقد ذكر الشماخ بن ضرار الذباني أيضا الديابوذ في قوله: (رجب، 2002، 183)
كأنها وابن أيام تؤنبه من قُرّة العين مجتأباً ديابوذ

ولقد ورد ذكر الديباج عند الشعراء الجاهليين، والديباج "بكسر الدال: كلمة فارسية معرّبة؛ أصلها في الفهلوية: ديباك، وصارت في الفارسية الحديثة: ديباه - ديبا بالكسرة المجهورة، وهى تعنى في الفارسية: ثوب حريرى، وكلمة ديباه مكونة من مقطعين: ديو ومعناه: جن، وياف ومعناه: نسيج، والمعنى الكلى: نسيج الجن" (رجب، 2002، 182)، قال مالك بن نويرة: (محمد أمين، ب ت، 262)

ولا ثياب من الديباج تلبسها هي الحياض وما في النفس من دَبَبٍ
والمقصود بالدَبَبِ هو العيب، كما ذكر الأعشى أيضا الديباج في مدحه لهوذة الحنفي
ملك اليمامة، فأنشده قائلاً: (ميمون بن قيس، 2012، 157)
له أكاليل بالياقوت زينها صواغها لا ترى عيباً ولا طبعاً
وكلّ زوج من الديباج يلبسه أبو قدامة محبواً بذاك معاً
وهذا ما يوضحه عدي بن زيد العبادي في قوله واصفاً لون الوجه، وديباج الوجه أي
تلونه من رفته: (أبو العباس، 2006، 263)

حمة خلط صفرة في بياض مثل ما حاك حائك ديباجا
وكان العرب يأتون بالديباج في الماضي من بلاد فارس حيث "كانت أشهر البلاد
إنتاجاً للديباج قديماً الأهواز، ومما ينسب إلى الأهواز من النفائس ديباج تُسْتَر". (رجب عبد
الجواد، ب ت، 182)

إن ذكر هذا النوع من الملابس وغيره يمنحها بعداً حضارياً كان قد شهدته العصر
الجاهلي الذي لم يكن في معزل عن الحضارات المجاورة، وهكذا لم يغفل الشعراء عن
الحديث عن هذا النوع من الملابس، منها أيضاً ورد ذكر السابري، وقد أشارت المعاجم إلى
أنه نوع من الثياب الرقيق، قال ابن دريد: كُلُّ رَقِيقٍ عندهم سَابِرِيٌّ (المديني، 1986، 50)،
وينسب إلى بلاد الفرس حيث "قِيلَ نِسْبَةً إِلَى سَابُورَ كُورَةٍ مِنْ كُورِ فَارِسَ وَمَدِينَتُهَا
شَهْرُ سَتَانُ" (الفيومي، ب ت، 263)، ومعرفة العرب له يدل على اتصالهم بغيرهم كالفرس،
مما يؤكد وجود المظاهر الحضارية عند العرب في العصر الجاهلي ذلك أن السابري يعد من

أجود أنواع الثياب، وقد ورد ذكرها كثيرا عند الشعراء الجاهليين، من ذلك قول حاتم الطائي: (حاتم الطائي، 1990، 234)

ديار التي قامت تريك وقد خلت وأقوت من الزوار كفا ومعصا
تهادى عليها حلينا ذات بهجة وكشحا كطي السابرية أهضا

وينكر امرئ القيس مسامرتة مع محبوبته وهي تدني عليها ثوبها المطرز فيصفها قائلاً: (امرؤ القيس، 2004، 126)

فيتنا تصدُّ الوحشُ عنا كأننا قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا
تجافي عن المأثور بيني وبينها وتُدني علينا السابري المضلعا

لقد تجاوزت الملابس في الشعر الجاهلي وظيفتها الأساسية وتعدتها لتصبح دالا حضاريا يحوي في ثناياه أبعاداً ثقافية واجتماعية وسياسية كاشفاً عن تقاليدهم وعاداتهم، بالإضافة إلى كونه يرصد العلاقات بين العرب والحضارات المجاورة في العصر الجاهلي وخاصة حضارة الفرس، هذه العلاقات القائمة على التأثير والتأثر فضلاً عن كونها من المظاهر الحضارية الهامة.

إلى جانب الملابس كانت الحلي تعتبر من الزينة التي اهتم بها النساء والرجال في العصر الجاهلي، وكانت تصنع من مختلف الألوان والمواد مثل الذهب والفضة والجواهر واللؤلؤ، كما كانت تعبر عن الحالة الاجتماعية والثروة، ويمكن القول أن الحلي كانت تلعب دوراً مهماً في حياة العرب في العصر الجاهلي إذ تعد جزءاً من ثقافتهم وتقاليدهم.

ويزخر الشعر الجاهلي بوصف حلي النساء ومن ذلك اليارق؛ و"اليارق بفتح الياء وفتح الراء: كلمة فارسية مُعرَّبة، وأصلها في الفارسية: ياره، ومعناها في الفارسية: السوار، وفي شفاء الغليل: سوار معرب ياره فارسي، كذا في شرح الحماسة" (رجب، 2002، 536)، وهذا يدل على اطلاع العرب على الحضارة الفارسية وتأثرهم بها فنجد أنه قد ورد ذكر اليارق عند الأعشى واصفا صاحبته: (ميمون بن قيس، 2012، 95)

إذا قللت معصاً يا رقي — ن فُصل بالدر فصلاً نضيرا
وحلّ زبرجدة فوقه — وياقوتة خلت شيئاً نكيرا

كما ورد ذكر السوار بكثرة في الشعر الجاهلي، و"الأسورة من أدوات الزينة كذلك، وقد استعملها أهل الجاهلية، تضعها المرأة في يديها. ويذكر علماء اللغة أن "السوار" لفظة معربة، عربت من الفارسية وأصلها في الفارسية "ستوار"، فأخذها العرب وعربوها" (جواد

علي، 2001، 250)، فيصف عدي بن زيد جمال السوار ولمعانه اللافت للنظر في الكف
فيقول: (عدي لن زيد، 1965، 127)

قد آن أن تصحو وتقتصر وقد أتى لما عهدت عُصْر
عن مُبرقان باليدين وتبــــ —دو بالأكف سُور

وسُور جمع سوار، والمعنى أن هؤلاء النسوة يُظهرن خُلِيَّهن ليراها الرجال، كما يصف
الأعشى امرأة قد زينت كفها بسوار فبدا بنانها كهذب الحرير المفتل: (ميمون بن قيس،
2012، 355)

وألوت بكف في سوار يزينا بنان كهذاب الـدمقس المفتل

كما يظهر تأثر العرب واتصالهم بالفرس في كونهم اطلعوا على طريقة صناعتهم
للحلي وعرفوا أشكالاً كثيرة منه، وقد "أخذ تجار مكة من الفارسية بعض الألفاظ الحضارية
التي لها علاقة بالصياغة، بحكم اتصالهم بالعراق، مثل لفظة "زركش"، وهي من أصل
فارسي معناه: الراسم والناقش على الذهب" (جواد علي، 2001، 254)، وبفضل معرفة
العرب واختصاصهم بمهنة الصياغة فقد صاغوا خرزا من الفضة و"جعلوه على أمثال اللؤلؤ،
وعرف عندهم باسم "الجمان"، وقد وردت لفظة "جمانة" في شعر منسوب للبيد. وذكر
الجواليقي أن اللفظة معربة من أصل فارسي، وأنها تكلمت بها العرب قديماً" (جواد علي،
2001، 254)، حيث قال لبيد بن ربيعة العامري في قصيدته التي يصف فيها الرحلة
والناقة وحيوان الصحراء ويفتخر بقومه بني عامر: (لبيد بن ربيعة، 2004، 76)
وَعَالَيْنَ مَضْعُوفًا وَفَرْدًا سُمُوطُهُ جُمَانٌ وَمَرْجَانٌ يَشُدُّ الْمَفَاصِلَا

إن قراءة الشعر الجاهلي ليست مقتصرة على الساحة الأدبية والجمالية، بل يتعداها
في كونه مرآة تعكس الحياة اليومية والعلاقات الحضارية للعرب في العصر الجاهلي، ولم
يختلف العرب عن سائر الأمم في استخدامهم للملابس ومختلف أنواع الحلي، سواء كان من
ابتكارهم أو تأثراً بما شاهدوه عند غيرهم من باقي الحضارات المجاورة نتيجة الاتصال
الجغرافي، وتظهر أهمية الملابس والحلي في كونها رموزاً ثقافية واجتماعية تعكس الحالة
الحضارية لتلك الفترة.

4. الخاتمة:

يُعدُّ الشَّعر الجاهلي مصدراً هاماً لتوثيق تاريخ العرب والأمم المجاورة، مما يبرز أهمية دراسة الأدب والشَّعر لفهم التاريخ والحضارات المختلفة، ذلك أنَّ الشَّعراء الجاهليين لم يقتصرُوا على توثيق أحداث العرب بل وثَّقُوا أيضاً تاريخ الأمم المجاورة مثل الفرس.

إن الصلة والعلاقات المختلفة القائمة بين العرب والفرس قبل الإسلام أدت إلى التبادل الثقافي الذي بدوره أثرى الأدب العربي ودفع بالشَّعراء إلى إثبات هذه التأثيرات الثقافية المتبادلة. ويتضح الحضور الجلي للآخر الفارسي في القصائد الجاهلية بملوكه وتاريخه الذي كان حافلاً بمعارك وحروب سواء كانت مع العرب أو باقي الشعوب والحضارات المجاورة.

وقد استعمل العرب في العصر الجاهلي الأسلحة الفارسية وأعجبوا بها، وهذا يتضح جلياً في قصائد الشَّعراء الجاهليين الذين أفصحوا بهذا الإعجاب عن مدى التفوق الحضاري للفرس، وهذا يعكس جانباً من تأثر العرب بالثقافة الفارسية في ذلك العصر.

وقد مثل حضور الألوان والآلات الموسيقية الفارسية في الشَّعر الجاهلي أحد أهم مظاهر التأثر الثقافي بهذه الحضارة، إذ يعرب عن مدى قوة هذا الاحتكاك بين العربي الجاهلي والآخر الفارسي في مختلف مظاهر الحياة، ذلك أنَّ الأدب مرآة عاكسة لحياة وبيئة الشاعر.

ولم يختلف العرب عن سائر الأمم في استخدامهم للملابس وأنواع الحلي باعتبارها رموزاً حضارية واجتماعية، سواء كان من ابتكارهم أو تأثراً بما شاهدوه عند غيرهم من باقي الحضارات المجاورة نتيجة الاتصال الجغرافي وخاصة حضارة الفرس.

5. قائمة المراجع:

1. أبو العباس الشريشي، 2006، شرح مقامات الحريري، بيروت - دار الكتب العلمية.
2. أبو عبيد البكري الأندلسي، 1992، المسالك والممالك، بيروت - دار الغرب الإسلامي.
3. أبو زيد القرشي، 1963، جمهرة أشعار العرب، بيروت - دار صادر.
4. الأخفش الأصغر، 1999، الاختيارين، بيروت - دار الفكر المعاصر.
5. أحمد محمد الحومي، دت، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، مصر - دار نخضة مصر للطباعة والنشر.
6. امرؤ القيس، 2004، الديوان، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، ط2، بيروت - دار المعرفة.
7. ابن الأثير، 1997، الكامل في التاريخ، بيروت - دار الكتاب العربي.
8. ابن دريد، 1991، الاشتقاق، بيروت - دار الجليل.
9. ابن عبد ربه الأندلسي، 1404هـ، العقد الفريد، بيروت - دار الكتب العلمية.
10. الجوهري أبو نصر، 1987، صحاح في اللغة والعلوم، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط4، بيروت - دار الملايين.
11. جواد علي، 2001، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت - دار الساقية.
12. جرير، دت، الديوان، تحقيق نعمان محمد أمين طه، شرح محمد بن حبيب، القاهرة - دار المعارف.
13. حاتم الطائي، 1990، الديوان، صنعة عيسى بن مدرك الطائي، رواية هشام الكلبي، تحقيق عادل سليمان، القاهرة - مكتبة الخانجي.
14. خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، 2009، مؤسوعة الأخلاق، الكويت - مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع.
15. رجب عبد الجواد إبراهيم، 2002، المعجم العربي لأسماء الملابس «في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث»، القاهرة - دار الآفاق العربية.
16. الصغاني، 1970، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق عبد العليم الطحاوي، القاهرة - دار الكتاب المصرية.
17. عدي بن زيد العبادي، 1965، الديوان، بغداد - شركة دار الجمهورية للنشر والطبع.
18. عبد الله بن محمد بطلبوس، 1996، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، القاهرة - مطبعة الكتابة المصرية.
19. عبد الملك بن هشام، 1347هـ، التيجان في ملوك حمير، صنعاء - مركز الدراسات والبحوث اليمنية.
20. علي الجندي، 1991، في تاريخ الأدب الجاهلي، مصر - مكتبة دار التراث.
21. علي الجندي، 1999، في تاريخ الأدب الجاهلي، مصر - مكتبة دار التراث.
22. القاضي عياض، 2018، بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد، بيروت - دار الذخائر.
23. الفيومي، 2009، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت - المكتبة العلمية.

24. الفيومي، دت، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت- المكتبة العلمية.
25. مرتضى الزبيدي، 2001، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت- دار الهداية ودار إحياء التراث.
26. المدني، أبو موسى، 1986، المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث، تحقيق عبد الكريم العزاوي، ط1، جدة- دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع.
27. ميمون بن قيس، 2012، ديوان الأعشى، مصر- مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع.
28. م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، 1998، موجز دائرة المعارف الإسلامية، الشارقة، مركز الشارقة للإبداع الفكري.
29. النويري شهاب الدين، 1423هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة- دار الكتب والوثائق القومية.
30. أمية بن أبي الصلت، 1998، الديوان، تحقيق سجع جميل الجبيلي، ط1، بيروت- دار صادر.
31. ياقوت الحموي، 1995، معجم البلدان، بيروت- دار صادر.
32. لبيد بن ربيعة العامري، 2004، الديوان، ط1، القاهرة- دار المعرفة.